واقع المناهج وطموحات المستقبل

يستهدف هذا الكتاب الدراسة التحليلية ومايستتبعها من رصد للواقع التربوى وهى معنية بتبين الواقع والفجوة التى توجد بينه وبين المستوى المطلوب والمتوقع فى ظل مستقبل مغاير تماماً للزمن الذى نعيش فيه.

ولقد أصبح من المؤكد أنه مع زمن المعلوماتية والتطوير التكنولوچى المتسارع سيكون الفرد فى حاجة إلى مفاهيم واتجاهات وقيم ومهارات تتسم بالجدة لكى يستطيع أن يعايش المستقبل فى صورته الجديدة بكل تحدياته وصراعاته، إذ أنه ليس من المتوقع أن يستطيع ذلك بامتلاكه لمفاهيم وإتجاهات وقيم ومهارات تقليدية ظل الفرد يتعامل من خلالها مع مصادر المعرفة عبر قرون عديدة مضت.

ودول العالم العربى بما يربطها من علاقات قوية عبر العصور تمتلك من مقومات الشخصية مايجعلها متميزة عن غيرها من العديد من الأشكال السياسية فهى دول تجمعها الوحدة التاريخية والجغرافية والسكانية، بل وتجمعها معا وحدة الآلام والآمال والمصير، وهذا كله يجعل هذا الكيان مؤهلاً لأن يقوم بدور حضارى متميز فى العصر الحاضر والمستقبل القريب والبعيد.

ولاشك أن عملية التربية بكل آلياتها هى القادرة على أن تربى الإنسان المواطن العربى المطلوب لهذه المسئولية.

أهمية موضوع هذا الكتاب :

١ - أن العصر الحديث يتسم بالتغير الثقافى الذى يتصف بالسرعة، وأنه تغير جذرى، وتعود هذه التغيرات الثقافية الجذرية إلى التقدم العلمى والتكنولوچى

المذهل الذى تتأثر به المجتمعات الحديثة فى كافة أرجاء الأرض، إذ أدى التقدم العلمى والتكنولوچى إلى تغير سريع وكبير فى أساليب الحياة فيها، وقد يجد الإنسان نفسه منعزلاً عن الحياة مالم يكيف تفكيره ومؤسساته الاجتماعية والسياسية والتربوية مع عصر التقدم والاكتشافات العلمية والتكنولوچية، وأدى التقدم العلمى أيضاً إلى تغيير أساليب العمل والإنتاج، وإلى تغير مفهوم علاقة الإنسان بالموارد الطبيعية وكيفية استغلالها، كما تأثرت كثير من القيم الاجتماعية والدور الاجتماعى للأفراد فى المجتمعات الحديثة بالتقدم العلمى والتكنولوچى أيضاً، ومن هنا تأتى أهمية تناول المناهج التعليمية بالتحليل والنقد حتى تكون دائماً من أساليب دفع المجتمعات إلى التقدم المنشود وليست من عوامل جذبه إلى الوراء.

إن المجتمعات المعاصرة تتطلع إلى التقدم دائما، وبذلك فهى فى نظرتها إلى هذا الهدف تسعى جاهدة إلى توفير كل عناصر النجاح حتى لايكون رصيدها التبعية والدوران فى فلك دول قوية تمتلك مصادر الثروة ولايبقى للدول الساعية إلى التقدم إلا الوهم ونجاحات الآباء والأجداد. ولذلك فإن هذه الدراسة وإن كانت تعبر عن إطلالة إلى آفاق الغد تنظر بموضوعية حقيقية إلى الواقع بكل مايشمله من إيجابيات وسلبيات، ومن ثم فإن النجاح فى هذه المهمة يتوقف على مصارمة النفس والتقدير الحقيقى للواقع بعيدا عن الزيف أو المظهر.

٢- إن التقدم المنشود فى كافة مجالات الحياة لاينبغى أن يكون عشوائياً، بل يجب أن يسير فى خطوط ترسمها الاتجاهات والقيم التى تبلورت من حصيلة ماضينا العريق، ومستقبلنا المأمول، ومن ثم فالتعليم ينبغى بالضرورة أن يستهدى بهذه الاتجاهات والقيم فى النهوض بدوره، ومن هنا كانت أهمية تناول المناهج التعليمية بالفحص والدراسة التى تستهدف تقويم واقع الممارسات السائدة فى مناهجنا، حتى تأخذ من ذلك بداية للإنطلاق نحو عملية تطوير شاملة وفق أسس علمية متجددة.

٣- التقويم عملية أساسية فى أى عمل من الأعمال، وينبغى أن يكون التقويم بصفة مستمرة وشاملاً لجميع العمليات، فتقويم المناهج بعناصرها المختلفة، عملية أساسية للتأكد من حسن سير العمل ولمعرفة الأخطاء والانحرافات إذا وجدت. ويرتبط بهذا الأمر أن يكون التقويم موضوعياً وعندئذ يمكن أن يقوم التقويم على أسس علمية.

٤- لم يعد من المقبول أن نتصور أن يكون هناك منهج ثابت جامد على الدوام لايستجيب لما تقتضيه عوامل التغير والمراجعة والتطوير، ومن هنا فإن تطوير المنهج يعد جانباً أساسياً فى إطار أى نظرية يتبناها واضعو المنهج.

وبناء على ذلك فإن النظرية العامة للمنهج تأتى فى قمته، والمقصود بالنظرية العامة للمنهج مجموعة القرارات التى تسفر عنها دراسة المجتمع وثقافته وفلسفته التى يلتزم بها، والمتعلم وطبيعته وعلاقاته وتفاعلاته فى السياق الاجتماعى الذى ينتمى إليه، والتى تنعكس على أهداف المنهج ومحتواه، وتحدد العلاقة بين المحتوى والمتعلم واستراتيجيات وتكتيكات التدريس وغير ذلك من مقومات العملية التعليمية، ومن ثم فإن تناول المنهج على المستوى التنفيذى هو السبيل الأول الذى يمكن أن نتبين منه مدى كفاية المنهج وجودته وفق ماحدد له من أهداف.

٥- أثارت الثورة العلمية والتكنولوجية اهتماماً جديداً فى مجال بناء المناهج وتطويرها، وخاصة من حيث العلاقة بين التعليم الأكاديمى والتعليم المهنى وجرى تساؤل حول كيفية تغيير النظرة إلى علاقة المدرسة بالعمل، وبالتالى بدأت الدول المتقدمة فى البحث عن أساليب وصيغ جديدة للمناهج تربط فيها بين العلم والعمل، بين النظرية والتطبيق، كما بدأت أجهزتها التعليمية ومراكز البحث فيها فى التصدى للمشكلات المادية والاجتماعية على مستوى الواقع وعلى مستوى التطبيق، ومن هنا فإن الاستفادة من تلك التجارب العالمية يعد أمراً ضرورياً من أجل استمرار البقاء والعطاء الحضارى.

٦- دخول العديد من المفاهيم إلى ميدان التربية، من ذلك مثلاً مفهوم التربية المستمرة، والتى لاتعتبر شكلاً من أشكال التربية ونشاطاً تربوياً متميزاً، وإنما تعتبر صيغة أساسية كفيلة بأن تقدم مبدءاً للتوجيه والتجديد، على أن المقصود بهذا الأمر هو أن العالم يعيش عصراً جديداً هو عصر التفكير المستقبلى الذى يستهدف إبعاد الشكلية عن المناهج، ومراجعة بنيتها بحيث تكون أقدر على إعداد مواطن قادرة على ممارسة الحياة فى مستقبل يموج بالعديد من المتغيرات فى كافة مجالات الحياة.

٧- أصبحت المعارف والعلوم الإنسانية تتغير وتتقدم باستمرار، وتعتبر هذه الحقيقة وثيقة الصلة بمناهج التعليم لأن التعليم يستمد مضامينه من مجالات المعرفة المنظمة ومن ثقافة المجتمع، وبسبب هذه الظاهرة أصبحت المناهج التقليدية - القائمة على المعرفة - تواجه مشكلات تزايد المعارف وتراكمها، ومن هنا تأتى أهمية مراجعة محتوى مناهج التعليم وتحديث مادته العلمية على ضوء التطورات التى تحدث فى المجالات المعرفية وفى الثقافة الوطنية، وبالتالى تطوير هذه المناهج. ولكن ذلك لايعنى أن التطوير يقتصر على المحتوى، ولكنه يشمل جميع عناصر المنهج، لأن هذه العناصر متفاعلة ومترابطة، وتطوير بعضها دون البعض الآخر يؤدى إلى اختلال العلاقة بين أجزائه.

٨- إن الخروج بتصور معين «نموذج» لتطوير المناهج التعليمية يستند إلى واقع الممارسات الفعلية فى مجال المناهج التعليمية، وإلى الاتجاهات العالمية فى هذا المجال وهو مايعد أمرا حيوياً فى هذا الشأن، والهدف من ذلك أن يستند التطوير إلى فلسفة تربوية واضحة فيترجمها إلى ممارسات ملموسة تتحد فى أهداف المنهج ومضامينه ووسائله واستراتيجياته وتنفيذه وتقويمه، لأن غياب هذه الرؤية الواضحة المحددة والمستندة إلى أسس علمية يجعل التطوير أسير للقيم والأفكار المتصارعة والمتناقضة مما يؤدى إلى البحث عن حلول آنية تجعل التطوير يفقد

جوهره وأهدافه فينعكس ذلك على المنهج وعلى تنفيذه وبالتالى على المخرجات التربوية.

وهكذا فإن المناهج الدراسية فى أى دولة نامية أو متقدمة أو ساعية وراء التقدم لابد أن تخضع للتقويم والمتابعة المستمرين، إذا أن هناك العديد من المستجدات التى تفرض نفسها دوماً والتى تجعل من التقويم والمتابعة أمراً حتمياً وليس مجرد تقليد لما يحدث هنا أو هناك.. إن أى دولة تنظر من هذه المنظور إلى مناهجها إنما يكون ذلك من أجل ترقيتها وجعلها أداة حقيقية فاعلة فى بناء وتشكيل فكر ووجدان ومهارات المواطن، ولاشك فى أننا فى الوطن العربى فى حاجة إلى ذلك أكثر من أى وقت مضى، بل إن المستقبل القريب والبعيد يفرض علينا أن نكون على وعى كامل بخطورة هذا الأمر وأهميته بالنسبة لبلادنا حاضراً ومستقبلاً.

منطلقات أساسية فى تطوير المناهج :

هناك عدة منطلقات لابد من وضعها فى الاعتبار عندما نكون بصدد تطوير أى منهج أو أى مجموعة من المناهج لصف أو لمرحلة ما، وهذه المنطلقات هى:

١- أن هناك علاقة شبكية بين مناهج الصفوف المختلفة، وبالتالى فلابد من إعداد خريطة معرفية تبين المحتويات والمضامين فى كل مادة وفى كل صف.

٢- أن علاقة التواصل بين مايتعلمه الأبناء فى صف ما ومايدرسونه فى الصفوف التالية لابد أن يكون تراكميا بمعنى أن نمو الخبرة واتساعها وتأصيلها لابد أن يكون فى تصورات القائمين على التطوير منذ البداية.

٣- إن مايقع من تطوير لأحد عناصر المنهج دون بقية العناصر يؤدى فى الغالب إلى التخبط والارتجال فى تطوير العناصر الأخرى، وسينعكس ذلك على إجراءات تنفيذ المنهج.

٤- إن أى منهج لابد أن يكون له فكراً حاكماً، أو كما يسمى فى بعض الأحيان «فلسفة للمنهج» أو نظرية للمنهج، وهذا الفكر أو الفلسفة أو النظرية هو مصدر بناء نموذج المنهج بكل ما يشمله من أهداف ومضامين وطرق ووسائل وأنشطة وأساليب تقويم.

٥- إن التطور العلمى والتكنولوچى يفرض نفسه الآن على الساحة التربوية، ولذلك يصعب التطوير دون الأخذ به سواء عند تخطيط المنهج أو تنفيذه أو تطويره.

٦- أن العلاقة بين تقويم المنهج وتطويره علاقة حلقية وليست خطية، وبالتالى فلاتطوير قبل التقويم، ولا تقويم إلا إذا استتبعه تطوير جديد وهكذا.

٧- إن أى منهج يتم تطويره لابد أن يخضع للتجريب المبدئى ثم التجريب الموسع قبل مرحلة التعميم، ذلك أن المنهج الذى يتم تطويره يكون مجرد مسودة أولية، وعندما يجرب ميدانيا تحدث عملية المراجعة إلى أن يأخذ صورة مقبولة من جانب من قاموا بالتطوير وعينات المعلمين والطلاب الذين شاركوا فى مرحلة التجريب.

٨- إن المنهج الذى ينظر إليه باعتباره مصدراً للمعرفة إنما هو منهج قاصر، فالمعرفة أصبحت لها مصادرها العديدة والمتنوعة، بل إن الكون كله أصبح كتابا مفتوحاً أمام الجميع، وقد أدى التطوير التكنولوچى إلى استخدام شبكات المعلومات باعتبارها مصدراً غنياً بالمعلومات.

٩- إن المعلم فى إطار التفكير المنظومى فى مجال تقويم المناهج وتطويرها لابد له من أدوار جديدة أقلها أهمية ترديد مايحتويه كتاب مدرسى على مسامع أبنائه من التلاميذ والطلاب.

١٠- إن المجتمع ليس بعيداً وليس بمعزل عن حركة تطوير المناهج، ولذلك فان

رصد مايجرى فى المجتمع من أحداث وما يعيشه من مشكلات يجب أن يكون فى صميم المنهج.

١١- إن التعلم من أجل التميز يعنى النظر بعين الإعتبار إلى إمكانات وقدرات الأبناء، ومما زاد من أهمية هذا الأمـر ظهور مفهوم الذكاءات المتعددة والتعليم الفردى والتعليم التعاونى وغيرها مما يقدمه فلاسفة وخبراء التربية والمناهج كل يوم على المستوى العالمى.